المجلة السعودية للدراسات التربوية
والنفسية
الإصدار العاشر
المجلد (٤) العدد (٢)
٢٠٢٣ (١٥٤-١٦٤)

المستشرقُ الألمانيُّ (نولدكه) والقراءاتِ القرآنيَّةَ الشاذَّةَ: أنظارٌ علميَّةٌ أم مغالطاتٌ وطعونٌ

د. شادي محمد الغول
اللغة العربيّة، ***فلسطين***

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٧ نوفمبر ٢٠٢٣م

الملخصُ

تستقري هذه الدراسةُ موقفَ المستشرقِ الألمانيِّ (ثيودور نولدكه) من القراءاتِ القرآنيَّة الشاذة وما انبثَّ عنهُ من مغالطاتٍ وطعونٍ، وإنْ كانَ يبدو في ظاهرهِ فرديًّا مجرَّدًا من أيِّ مغزًى خلا البحثَ العلميَّ، إلا أنَّ مَن يتفحَّصُ منهجَهُ سيرى فيه انحرافًا بيِّنًا؛ ذلكَ أنَّهُ يقومُ على ما شذَّ لفظُهُ من القراءاتِ القرآنيَّةِ أو استترَ معناهُ، لينتهيَ إلى القولِ بأخطاءٍ في النصِّ القرآنيِّ، لذلك لا بدَّ من دفعِ الشكِّ بصحةِ النصِّ القرآنيِّ بربطِ كلِّ ما جاءَ شاذًّا أو غريبًا بزمانهِ وسياقهِ؛ ليتضحَ أنَّهُ ناشئٌ خارجَ عصرِ الرسولِ والصحابةِ، فليسَ له أيُّ قيمةٍ توثيقيَّةٍ تدعو إلى العنايةِ به، كما تسلِّطُ هذه الدراسةُ الضوءَ على إشكاليَّةِ استجابةِ قسمٍ من الباحثينَ العربِ لتلكم الأنظارِ التي خالوها واقعًا وحقيقةً.

وخلصتْ هذهِ الدراسةُ إلى نتائجَ، كانَ من أهمِها أنَّ منهجَ (نولدكه) يختلفُ عن سائرِ المستشرقينَ في شكلهِ لا مضمونهِ، إذ إنَّهُ اتخذَ من معاييرِ صحةِ القراءةِ مرتكزًا لإثباتِ اضطرابِ القرآنِ وقراءاتِه، غاضًّا طرفَهُ عن الفارقِ بينَ زمانِ تداولِ القراءاتِ وزمانِ ظهورِ هذهِ المعاييرِ؛ وذلكَ بغيةَ الوصولِ لغايةِ المستشرقينَ الجمعيةِ، وهيَ التشكيكُ في نسبتِهِ للوحيِ.

الكلماتُ المفتاحيَّةُ: طعن، نولدكه، قراءات، القرآن، العرب.

Abstract

This study investigates the position of the German orientalist (Theodore Noldeke) on the anomalous Quranic readings and the viewpoints emanated from him. Although it appears outwardly as an individual devoid of

any significance other than scientific research, whoever examines his approach will see a clear deviation in it as it is based on what its wording is abnormal in the Quranic readings or its meaning is hidden, to end up saying that there are errors in the Quranic text. Therefore, it is necessary to dispel doubts about the validity of the Quranic text by linking everything that came anomalous or strange to its time and context to make it clear that it originated outside the era of the Messenger and the Companions. Thus, it does not have any documentary value that calls for taking care of it. This study also sheds light on the response of a section of Arab researchers to those approaches that they considered as reality.

This study concluded with results, the most important of which was that the approach of (Noldeke) differs from other orientalists in its form and not in its content. It took the criteria of the validity of the reading as a basis to prove the disorder of the Quran and its readings, ignoring the difference between the time of circulation of the readings and the time of the appearance of these standards; This is in order to reach the collective goal of the orientalists, which is to question the Quran's attribution to the revelation.

Keywords: Noldekeh, skepticism, readings, anomalous, the Arabs

*** مقدمة**

تسعى هذهِ الدراسةُ إلى الكشفِ عن مقاصدِ أنظارِ المستشرقِ الألمانيِّ (نولدكه) في القراءاتِ القرآنيَّة الشاذة، وبيانِ الأصولِ والموجهاتِ التي انطلقَ منها، كما ترمي إلى مقارنةِ ذلكَ بآراءِ غيرِهِ من المستشرقينَ، ثمَّ مناقشةِ آراءِ الباحثينَ العربِ، وبيانِ موقفِهِم من تلكمِ الأنظارِ؛ وذلكَ بغيةَ رسمِ صورةٍ مطابقةٍ لواقعِ القراءاتِ المتواترةِ والصحيحةِ والشاذةِ، تستندُ إلى معطياتٍ واقعيّةٍ متكاملةٍ ستُغني عن التَّعميمِ والتَّقريبِ، لإعادةِ النظرِ فيما قدَّمَهُ بعضُ الباحثينَ العربِ في فضاءِ دراساتِ (نولدكه) ورفاقِهِ من المستشرقينَ حولَ القراءاتِ الشاذةِ.

*** مشكلةُ الدراسة**

تبرزُ المشكلةُ التي تنطلقُ منها هذهِ الدراسةُ فيما تضمنتْهُ أنظارُ (نولدكه) ورفاقِهِ من مغالطاتٍ وطعونٍ، واستجابةِ قسمٍ من الباحثينَ العربِ لتلكمِ الأنظارِ التي خالوها واقعًا وحقيقةً.

ومنْ موجباتِ ذلكَ جلاءُ الإشكاليَّاتِ الآتية:-

١- ما مدى صدقِ أنظارِ المستشرق (نولدكه) في موضوعِ القراءاتِ القرآنيَّةِ الشاذَّة؟

٢- ما موقف الباحثين العرب من أنظار (نولدكه)؟

*** ما يميزُ هذه الدراسةَ عن غيرِها**

تمتازُ هذهِ الدراسةُ عن غيرِها بمناقشةِ معاييرِ القراءاتِ القرآنيَّةِ الثلاثة، والمبادئِ الجديدةِ التي ركَّزَ عليها (نولدكه) مُغفلًا النظرَ في زمنِ ظهورِها، إذ لا يصحُّ اعتمادُها في القرآنِ المتواترِ؛ لأنَّها ظهرت في زمن غير زمن تداول القراءات، كما تناقش هذهِ الدراسةُ الأسباب التي أدتْ إلى اضطرابِ تلكمِ القراءاتِ من وجهةِ نظرِ (نولدكه)، وكذلكَ تمتازُ هذهِ الدراسةُ بعقدِ مقارناتٍ ومقابلاتٍ بينَ أنظارِ (نولدكه) وأنظارِ بعضِ المستشرقينَ من جهةٍ، وأنظارِ قسمٍ من العربِ المحدثينَ في المضمارِ نفسِه.

*** آراءُ (نولدكه) في القراءاتِ القرآنيَّة**

ليسَ يُنكرُ الجهدُ الذي أنفقَهَ (نولدكه) في دراسةِ تاريخِ القرآنِ والنصِّ القرآنيِّ والقراءاتِ القرآنيَّةِ المختلفة، إلَّا أنَّ جهدَهُ هذا كانَ كدسمٍ قد حُشيَ سُمًّا، إذ راحَ يمتدحُ القرآنَ حتى انطلى ذلكمْ على العربِ، فردَّدوا له المدحَ، كـــ(صبحي الصالح) الذي قالَ: "ألا وإنَّ كبار المستشرقينَ لم يستسيغُوا هذا الرأيَ العقيمَ، فلقد قيضَ اللهُ لكتابِهِ مستشرقًا آخرَ أشهرَ من (فولرز) وأكثرَ منه تحقيقًا وتدقيقًا، هو (نولدكه)، كفانا مؤونةَ الردِّ على هذا الرأيِ الصبيانيِّ، وفنَّدَهُ ونقدَهُ نقدًا علميًّا موضوعيًّا أقامَ فيه الحجّةَ".(الصالح، 2009، ص122)

لقد أطلقَ (نولدكه) أحكامًا ونظرياتٍ تتعلقُ بالقراءاتِ، واستدلَ لها بنصوصٍ وشواهدَ من التاريخِ الإسلاميِّ ومن كتبِ العلماءِ والمؤرخينَ والفقهاءِ، ووظفَها توظيفًا يخدمُ غايتَهُ التي أضمرَها في سلسةٍ من الخطواتِ بدتْ كأنَّها صحيحةٌ.

فقد ركَّزَ في طعنِهِ بالقرآنِ على كلِّ ما هو شاذٌّ أو مستترٌ، وعلى ما يحتاجُ إلى تفسيرٍ وبيانٍ حتى يتضحَ وينجليَ، فأشارَ إلى وجودِ أخطاءٍ في النصِّ العثمانيِّ دخلتْ إلى لغةِ القرآنِ نتيجةَ القراءاتِ المختلفةِ بعدَ دخولِ عددٍ كبيرٍ من الموالي إلى الإسلامِ، ورأى أنَّ مهارةَ العربِ اللغويةَ وعلمَهم بالنحوِ جعلَهم يتلافَوْنَ تلكم الأخطاءَ، فاجتنبوا ترسيخَها. يقول: "إن مسألةَ اللهجاتِ المتعددةِ في المجتمعِ الإسلاميِّ جعلتْ هناكَ خلافًا حولَ القراءاتِ المتعددةِ وجوازِها لغويًّا أوْ بطلانِها" (نولدكه، 2000، ص563-564)، فالقراءاتُ، فيما يرى، كانت في شيءٍ منها عرضةً للتأثُّرِ بلهجاتِ المجتمعِ آنذاكَ، حتَّى دخلَ بعضُها في القراءاتِ السبعةِ عن مصحفِ عثمانَ، إلّا أنَّ عمليةَ إثباتِ وجودِ خطأٍ لغويٍّ كانَ أمرًا يحتاجُ لكثيرٍ من الجدالِ.(ينظر: نولدكه، 2000، ص564)

ولو قرَّرَ (نولدكه) أنَّ القراءاتِ تأثرتْ باللهجاتِ في وقتٍ متأخرٍ أيْ في القرنِ الرابعِ حينَ سبَّعَ ابنُ مجاهدٍ السبعةَ دونَ إثباتِ إخطاءٍ في الرسمِ لكانتِ القراءاتُ الثابتةُ مباينةً في قسمٍ غيرِ قليلٍ منها للرسمِ العثمانيِّ الذي وُضعَ قبلَ السبعةِ بأربعةِ قرونٍ، وهذا لمْ يكنْ. لذا؛ ليسَ من سبيلٍ أمامَهَ إلَّا أنْ يُثبِّتَ أخطاءً في الرسمِ حتَّى تلتقيَ حلقتا البِطانِ حينَ يُنظِّرُ لتأثُّرِ القراءاتِ باللهجاتِ. لكنَّه تعثَّرَ حينَ ادَّعى أنَّ النحاةَ ضبطُوا لغةَ القرآنِ بمهارتِهمُ اللغويَّة، إذ لو كانَ هذا كذلكَ

لصارَ ما أثبَتَهُ من أخطاءٍ في الرسمِ لا شيءَ، فإمَّا أنّهم اجتنبُوا ترسيخَ الأخطاءِ أوْ أنَّهم لمْ يضبطُوهُ فأبقَوْا عليها، فليسَ يستقيمُ أنَّهُ مضبوطٌ نحويًّا مع وجودِ ما عدَّهُ (نولدكه) أخطاءً كـــ(الصابئون) التي وردتْ القرآنِ في موضعِ (الصابئين). (ينظر: نولدكه، 2000، ص444)

كما حاولَ أنْ يُرسِّخَ أنَّ القرآنَ مجموعٌ من هذه القراءاتِ التي تكوَّنتْ منها، فيما بعدُ، سبعةُ ابنِ مجاهدٍ، فيلزمُ منْ ذاكَ أنْ يكونُ القرَّاءُ السبعةُ قدِ استجابُوا لبعضٍ من التأثيراتِ اللهجيَّةِ، فما ثبَّتَهُ من تأثيراتٍ في السبعةِ سيكونُ، بالضرورةِ، صادقًا على مصحفِ عثمانَ.

وسيتهافتُ قولُ (نولدكه) هذا عندَ ربطِ كلِّ مبحثٍ ممّا أوردَهُ بزمانِه، فإذا كانَ النحوُ قدِ استوى سوقُهُ في بدايةِ القرنِ الثاني فإنَّ القراءاتِ نشأتْ معَ نزولِ الوحيِ، وتعلّمَها الصحابةُ والتابعونَ مشافهةً، وأخذَ الناسُ يروونَها كما نزلتْ بسندٍ صحيحٍ ثابتٍ إلى الرسولِ في زمنٍ لمْ يكنْ فيه موالٍ، ولعلَّهُ فَطِنَ إلى الفارقِ الزمنيِّ بينَ نشأةِ القراءاتِ والنحوِ فاستدركَ بقولِه: إنَّ بعضَ النصوصِ قد قُدِّمتْ على أنَّها أقدمُ مما هيَ عليهِ فعلًا؛ ويستندُ في هذا إلى روايةِ الحسنِ البصريِّ، فما هي إلا شكلٌ لنصٍّ كانَ يستعملُهُ هو وأنصارُهُ.(ينظر: نولدكه، 2000، ص584-585) وليسَ لقولِه هذا واستدلالِه أيُّ قيمةٍ إذا علمْنا أنَّ قراءةَ الحسنِ من القراءاتِ الشاذةِ. (ينظر: ابن عربي، 2018، ص192)

ثمَّ استكملَ استدراكَهُ بقولِه: وبعضُها الآخرُ قد رُبطَ بمراجعَ خاطئةٍ، إضافةً لذلك فالرواياتُ المُدرَّسةُ معرَّضةٌ، خاصةً المكتوبةَ منها، لأنواعٍ من سوءِ الفهمِ والمفاسدِ العرضيَّةِ، فظهرتْ قراءاتٌ فرديَّةٌ مختلفةٌ، قد تكونُ أكثرَ أصالةً، ويزدادُ هذا الارتباكُ وهذه الاختلاقاتُ المنحازةُ كلما اقتربْنا من زمنِ النبيِّ. (ينظر: نولدكه، 2000، ص585)

وبصرفِ النظرِ عن تنظيراتِ (نولدكه) الطويلةِ حولَ القراءاتِ وتنقيحِها وتطورِها فإنَّ أبرزَ ملمحٍ في منهجِه أنّهُ يتناولُ القراءاتِ دونَ النظرِ في أسانيدِها، فالشاذُّ والصحيحُ والمتواترُ سواءٌ في درسِه التاريخيِّ، وشاءَ الحديثَ عنِ المخالفاتِ الواردةِ في القراءاتِ و لم يشأْ وصفَها بالشذوذِ رجاءَ أنْ ينقاسَ ذلكم على ما ثبتَ منها. لذا؛ ليسَ غريبًا أنْ يجعلَ بعضًا منَ القراءةِ الفرديِّةِ أكثرَ أصالةً من القراءةِ الجمعيَّةِ الثابتةِ.

وفي تتبعٍ تاريخيٍّ للقراءاتِ رأى (نولدكه) أنَّها كانت عرضةً لإضراباتٍ سياسيَّةٍ ومنافساتٍ بينَ مراكزِ الدولةِ، فقد أبرزتِ الأسانيدُ، فيما يرى، أنَّ قراءةَ القرآنِ كانت واحدةً مترابطةً في كلِّ الأمصارِ، وأنَّ القرَّاءَ المفردينَ أسهموا في خلقِ استعمالٍ محليٍّ، وإنْ كانَ هذا يتعلقُ في جزءٍ منه بنفوذِ النسخِ الموذجيَّةِ المحليَّةِ فإنَّ الاختلافَ فيما بينَها ضئيلٌ وغموضُها كبيرٌ. (ينظر: نولدكه، 2000، ص601)

وقد أشارَ إلى العلاقةِ بينَ أهميةِ البلدِ السياسيةِ وانتشارِ القراءةِ، فبعدَ أنْ أصبحتْ دمشقُ مقرًّا للأمويينَ برزتْ بوصفِها مركزًا لا ينافسُ، فانتقلتْ إليها قراءةُ معاذِ بنِ جبلٍ استجابةً لذلكم التطورِ السياسيِّ بعدَ أنْ كانت قد شاعتْ وانتشرتْ في حمصَ. (ينظر: نولدكه، 2000، ص603)

ثمَّ استكملَ أحوالَ القراءاتِ في الأمصارِ الرئيسةِ كمكةَ والمدينةِ والكوفةِ والبصرةِ ومصرَ والمغربِ العربيِّ (ينظر: نولدكه، 2000، ص605-609)، ووثَّقَ ما اعتراها من شيوعٍ وظهورٍ، أو انزياحٍ وضمورٍ؛ ليُثبِّتَ أنَّ هذا وقعَ في

سياقِ التنافسِ السياسيِّ، ويكشفَ بشكلٍ معينٍ عن العلاقاتِ بينَ القراءاتِ، فهناكَ ارتباطٌ وتقاربٌ بينَ المدينةِ ومكةَ والبصرةِ، بينما لا يوجدُ هذا التقاربُ معَ دمشقَ، وإنْ كانَ هناكَ اختلافٌ في القراءةِ الواحدةِ فإنَّ ثَمَّ اتفاقًا في القواعدِ العامةِ للنطقِ في جميعِ القراءاتِ. (ينظر: نولدكه، 2000، ص617-621)

يتَّضحُ بشكلٍ جليٍّ مما سبقَ أنَّ (نولدكه) يسعى إلى إظهارِ الاختلافِ في القراءاتِ على أنَّهُ نوعٌ من التنافسِ بينَ العلماءِ، وربَّما كانَ سببُ اختلافِها تنافسَهم هذا، واختلافَهم حولَ المناهجِ والمعاييرِ التي اتبعَها جماعةٌ منهم، فإنْ كانَ هذا كذلكَ فإنَّ القراءاتِ ستكونُ عرضةً لاجتهادِ القرَّاءِ بالتغييرِ والتبديلِ إزاءَ إذكاءِ التنافسِ، وهذا، بالضرورةِ، سيقللُ من قيمةِ القراءاتِ المتواترةِ ليضيقَ التباينُ بينَها وبينَ الشاذةِ.

وشاءَ أنْ يعضدَ قولَهُ إنَّ القراءاتِ اجتهاديةٌ فأوضحَ مبادئَ العلماءِ ومناهجَهم في تلقيها في غيرِ موضعٍ، فبعدَ أنْ أقرُّوا مبدأَ التقليدِ المتوارثِ، أصبحَ المذهبُ الكلاسيكيُّ يعتمدُ ثلاثةَ شروطٍ لابدَّ من توافرِها لقبولِ القراءةِ، وهوَ أنْ ينقلَ عن الثقاتِ عن النبيِّ، ويكونُ وجهُهُ في العربيةِ سائغًا، ويكونُ موافقًا لخطِ المصحفِ، إلَّا أنَّ العلماءَ لم يتفقُوا حولَ هذهِ المعاييرِ. وتلا ظهورَ مبدأِ التقليدِ مبدأٌ آخرُ عُرِفَ بمبدأِ العامةِ في بدايةِ القرنِ الثالثِ، ويشترطُ دعاةُ هذا المبدأِ ثلاثةَ معاييرَ لقبولِ القراءةِ، وهيَ التوافقُ مع المصحفِ، وصحةُ اللغةِ، والمعيارُ الجديدُ التوافقُ مع الموروثِ، وفي هذهِ الفترةِ عُرِفَ أبو عبيدٍ وأبو حاتمٍ السجستانيُّ مؤسسينَ لعلمِ القراءاتِ". (ينظر: نولدكه، 2000، 566-567)

وانتهى كلامُهُ حولَ ظهورِ مبدأِ الإجماعِ الذي لم يكنْ يُعرفُ قبلَ القرنِ الرابعِ، ولم يكونُوا يَعنونَ بكلمةِ الإجماعِ أنَّ هناكَ إجماعًا فعليًّا من القرَّاءِ جميعهم، إنَّما المقصودُ هو صوتُ الأغلبيةِ، ويعدُّ الإجماعُ حالةً قصوى ليسَ لها أيُّ أهميةٍ خاصةٍ، وكانَ لهذا المفهومِ دورٌ كبيرٌ في تغييبِ بعضِ قراءاتِ الأقليَّةِ تغييبًا تامًا، وتوحيدِ النصِّ القرآنيِّ، لذا؛ وُجِدَ في فترةٍ لاحقةٍ قانونٌ وقواعدُ وضعَها أبو حاتمٍ وأبو عبيدٍ وسواهُما لتحديدِ مفهومِ الأغلبيَّةِ، وليسَ مهمًا في هذهِ القواعدِ عنصرُ العددِ، بلِ القراءاتُ المحليَّةُ والقرَّاءُ المحلّيونَ، لذا؛ أصبحَ المقصودُ بالإجماعِ أوِ الأغلبيَّةِ أهلَ المدينةِ وأهلَ الكوفةِ مجتمعينَ أو أهلَ المدينةِ وأهلَ مكةَ، أو نافعًا وعاصمًا.(ينظر: نولدكه، 2000، ص568-569)

وفي وقتٍ متأخرٍ ظهرَ مبدأٌ جديدٌ يدعو إلى دراسةِ القراءاتِ بشكلٍ مترابطٍ وَحدةً واحدةً، حيثُ القراءاتُ المفردةُ لم تقدِّمْ ضمانًا كافيًا في اعتمادِ الروايةِ الشفويَّةِ، فأخذَ مكي بنُ أبي طالبٍ يُدرِّسُ القراءاتِ وحداتٍ في وقتٍ فَقدتْ فيه المعاييرُ الثلاثةُ معناها (ينظر: نولدكه، 2000، ص587)، ثمَّ يُردف (نولدكه) قولَهُ: "والواقعُ أنَّ المرءَ صبرَ في القراءاتِ السبعةِ على الانتهاكاتِ اللغويَّةِ، وأيضًا على الاختلافاتِ مع النصِّ العثمانيِّ، أمَّا المتأخرونَ فقد استخلصُوا النتائجَ وتخلَّوا عنِ المعاييرِ الثلاثةِ".(ينظر: نولدكه، 2000، ص587)

يبدُو أنَّ (نولدكه) لم يفقهْ معنى توقيفيَّةِ روايةِ القراءةِ، أو تعامى عنها، فراحَ يُنظِّرُ للمعاييرِ الثلاثةِ التي كانت في وقتٍ متأخرٍ، ولم تكن زمنَ روايةِ القراءاتِ، فسَها أو أرادَ أنْ يتشبَّثَ بتلكمِ المعاييرِ ليثبِّتَ انتهاكاتٍ لغويَّةً في القراءاتِ بمعاييرَ وضعَها القرَّاءُ أنفسُهم، دونَ أنْ يفصلَ بينَ ما هوَ متواترٌ

وصحيحٌ وشاذٌ. ولا يخفى أنْ المتواترَ من القراءاتِ ليسَ محلًا للمعاييرِ الثلاثةِ، فهي، بالضرورة، موافقةٌ للرسمِ، ولا يُنظَرُ فيها وَفق معيارِ موافقةِ اللغةِ، فهي مقبولةٌ كما رُويتْ وإنْ ظُنَّ أنَّ فيها انتهاكاتٍ لغويَّةً.

والذي يظهرُ أنَّ إعمالَ المعاييرِ الثلاثةِ كانَ في الضربِ الثاني والثالث من القراءاتِ، أيْ في الصحيحةِ والشاذةِ، وليسَ فيما تواترَ، فالصحيحةُ جاءتْ بسندٍ صحيحٍ من طريقِ خبرِ الآحادِ و لم تصلْ حدَّ التواترِ، وقد اختلَّ فيها شرطٌ من الشرطينِ الآخرينِ، وهذهِ مقبولةٌ ولا يُقرأُ بها، وربَّما سُمِّيتْ بالقراءةِ الشاذةِ المقبولةِ. أمَّا القراءةُ الشاذةُ فهي التي اختلَّ سندُها، وهذهِ غيرُ مقبولةٍ سواءً أوافقتْ الشرطينِ الآخرينِ أم لم توافق. (ينظر: آل اسماعيل، 1419ه، ص39) إذن؛ القراءات التي هي فروعٌ على الأصلِ تحتاجُ لشروطٍ ومعاييرَ لإثباتِ صحتِها أو بطلانِها وعدمِ قبولِها، أمَّا القرآنُ الثابتُ بالتواترِ فليسَ محلًا لشروطٍ أو معاييرَ.

*** شبهةُ القراءاتِ الشاذةِ**

لا يختلفُ (نولدكه) عن سائرِ المستشرقينَ الذينَ وجدُوا ضالتَهم في القراءاتِ الشاذةِ، فأطالُوا النظرَ فيها علَّهم يجدونَ سبيلًا للطعنِ في القرآنِ، و لم يخرجْ (نولدكه) عن هذا النسقِ، فرأى أنَّ القراءاتِ الشاذةَ تمّ استبعادُها وتحييدُها في عمليةِ اختيارِ القراءاتِ، ولولا إقصاؤُها لكانَ من الممكنِ أنْ تكونَ هذه القراءاتُ الشاذةُ قرآنًا، فالقراءاتُ، عندَه، بمجملِها هي مكوِّنُ النصِّ القرآنيِّ، قالَ: "نظرًا لوجودِ العديدِ من القراءاتِ والمبادئ المختلفةِ حولَ قبولِها أو رفضِها والخلافاتِ التي دارتْ بينَ العلماءِ وأصحابِ القراءاتِ وُجدت هناكَ حاجةٌ مُلحَّةٌ لتوحيدِ القراءاتِ، من خلالِ استبعادِ القراءاتِ التي لا تتفقُ مع النصِّ العثمانيِّ والقراءاتِ الشاذةِ عن الموروثِ، ونتيجةً لعمليةِ التوحيدِ هذهِ استُبعدَ العديدُ من القراءاتِ التي تمسُّ المفهومَ اللغويَّ والموضوعيَّ، إضافةً إلى الخلافاتِ المتعلقةِ باللهجاتِ، فالقراءاتُ المشهورةُ التي وصلتْ إلينا هي خلاصةُ عمليَّةِ تنقيحٍ وتوحيدٍ وانتقاءٍ من قراءاتٍ عديدةٍ كانت موجودةً ثمَّ استُبعدَت ".(نولدكه، 2000، ص574-575) وذهبَ إلى أنَّ مصطلحَ شاذٍّ منبثقٌ عن الصناعةِ النحويَّةِ، وهو مصطلحٌ يتصفُ بالنسبيَّةِ، ويكتملُ معناه بإتباعِهِ لاحقةً، كأنْ يُقال "شاذٌّ عن القياسِ"، أو "شاذٌّ عن المصحفِ" (ينظر: نولدكه، 2000، ص573)، "فإذا كانَ تعبيرُ شاذٍّ ذا صلةِ قرابةٍ مع محتوى تعبيرِ "شاذٌّ عن المصحفِ" لكنّهُ أوسعُ بالمعنى منه فالمتوقعُ أنْ يكونَ الحكمُ الصادرُ بحقِّ الشواذِّ التي لا تحيدُ عن المصحفِ وتشبهُ الأشكالَ غيرَ العثمانيَّةِ حكمًا خفيفًا".(نولدكه، 2000، ص574)

هذا القولُ يُبيِّنُ أنَّ (نولدكه) يقللُ من شأنِ الروايةِ في مقابلِ الرسمِ الذي عدَّهُ الأصلَ الذي يجبُ أنْ ينطلقَ منه الباحثُ، فكلُّ ما وُصِف بأنَّهُ شاذٌّ وهو لا يحيدُ عن المصحفِ فالأَوْلَى أنْ يكونَ حكمُهُ خفيفًا، وينبغي أنْ يُلقى له بالٌ ولا يُرفَضَ جملةً في درسِ القراءاتِ، فإذا كان "القدماءُ سترُوا تراثَ القراءاتِ الشاذّةِ فحجبُوه عنّا فلا بدَّ من نبشِ الترابِ عن تلكم القراءاتِ التي وأَدَها النحاةُ لِما لها من قيمةٍ علميّةٍ في البحثِ اللغويِّ السليمِ" (رباع، ج1 ص 175) وفي هذا محاولةٌ لإعطاءِ القراءاتِ الشاذةِ قيمةً توثيقيَّةً تُمكِّن المستشرقينَ من بلوغِ غايتِهم في مرحلةٍ لاحقةٍ.

لذا؛ "إنَّ إعادةَ الاعتبارِ إلى قيمةِ تلكمِ القراءاتِ الشاذّةِ وما يماثلُها ممّا وردَ من شواذِّ اللغةِ ينبغي أنْ يوضعَ في

سياقِه، ويفسَّرَ في ضَوْءِ معطياتِ هذا السياقِ، فكلُّ ذلكَ كانَ من منتجاتِ نهايةِ عصرِ الاحتجاجِ أو بعدَهُ، ولا علاقةَ له بلغةِ القرآنِ الثابتةِ ولا بلغةِ مكّةَ عندَ نزولِ القرآنِ" (رباع ج1، 160). وهذا يعني، بالضرورةِ، أنَّ الرسولَ والصحابةَ لا علاقةَ لهم بكلِّ ما وُصف بأنَّهُ شاذٌّ، وإنَّما ظهرَ فيما بعدُ بتحريفٍ منَ النّقَلَةِ أو خللٍ منَ الرواةِ.

(نولدكه) والمستشرقونَ

عُني كثيرٌ من المستشرقينَ بدارسةِ القرآنِ وما ارتبطَ به من موضوعاتٍ، متبعينَ منهجًا متقاربًا في التشكيكِ بالنصِّ القرآنيِّ، ومتخذينَ من القراءاتِ القرآنيَّةِ مدخلًا لذلكَ، إلا أنَّ من غيرِ المبررِ علميًا أنْ تكونَ مضامينُ نتائجهم واحدةً. فهذا (جولدسيهر) يذهبُ في حديثِهِ عن منحِ حريَّةِ الاختيارِ للقرَّاءِ والكَتَبةِ في زمنِ الرسولِ، وبعدَهُ إلى نفيِ توقيفيَّةِ القراءاتِ القرآنيَّةِ، ونفي صفةِ الربانيَّةِ عنها، بحجةِ تعددِها، فقالَ:" كانت تسودُ حريَّةٌ مطردةٌ إلى درجةِ الحريَّةِ الفرديَّةِ، كأنَّما كانَ سواءً لدى الناسِ أنْ يروُوا النصَّ على وجهٍ لا يتفقُ بالكليَّةِ مع صورتِهِ الأصليَّةِ ... والظاهرِ أنَّ القصدَ إلى إمكانِ تجهيزِ مثلِ هذهِ الحريَّةِ بحقٍّ منَ الصحةِ لا يقبلُ الشكَّ إلى إسنادِ جوازِ ذلكَ إلى الرسولِ نفسِه، فإنَّهُ يبدو بمكانٍ غيرِ هيِّنٍ أنْ نرى قراءاتٍ مخالفةً للنصِّ المشهورِ ذُكرتْ على أنَّها قراءاتُ الرسولِ، ممّا يدعو إلى افتراضِ أنَّهُ لا حرجَ في روايةِ كلامِ اللهِ على غيرِ الوجهِ الذي بلَّغَهُ الرسولُ في الأصلِ".(بوحوش، 2016، ص120)

لا يقرُّ (جولدسيهر) بروايةِ القرآنِ بالسندِ؛ فكلُّ ما جاءَ من قراءاتٍ فإنَّهُ مرتبطٌ عنده بخصوصيةِ الخطِ العربيِّ، وهو على كثرتِهِ ليسَ ممَّا نزلَ بهِ جبريلُ، وليسَ من الأحرفِ السبعةِ، فتعددُ القراءاتِ يرجعُ إلى طبيعةِ الرسمِ، حيثُ غيابُ النقطِ والتشكيلِ أبرزَ احتمالاتٍ عديدةً منَ القراءاتِ، يقولُ: "ترجعُ نشأةُ قسمٍ كبيرٍ من هذهِ الاختلافاتِ على خصوصيةِ الخطِ العربيِّ الذي يقدمُ على هيكلِهِ المرسوم مقاديرَ صوتيةً مختلفةً، تبعًا لاختلافِ النقاطِ، بل كذلكَ في حالةِ تساوي المقاديرِ الصوتيةِ يدعو اختلافُ الحركاتِ الذي لا يوجدُ في الكتابةِ العربيَّةِ الأصليَّةِ ما يحددُهُ إلى اختلافِ مواقعِ الإعرابِ للكلمةِ... واختلافِ الحركاتِ في المحصولِ الموحدِ الغالبِ من الحروفِ الصامتةِ كانا هما السببَ الأولَ في نشأةِ حركةِ اختلافِ القراءاتِ، في نصٍّ لم يكنْ منقوطًا أصلًا ولم تُتحرَّ الدقةُ في نقطِهِ أو تحريكِهِ" (بوحوش، 2016، ص121).

فالقراءاتُ عندَهُ هي احتمالاتٌ مُمكنةٌ للرسمِ العثمانيِّ، وهذا ما قالَهُ (نولدكه) بمضمونِه، لكنَّهُ بدا أكثرَ رويَّةً وإقناعًا من (جولدسيهر)، حينَ امتدحَ الرسمَ العثمانيَّ فوصفَه بأنَّهُ الأصلُ الثابتُ الذي يجبُ أنْ يُعتمدَ، فيكونُ بذلكَ ذانِ القولانِ متجانسينِ باعتمادِ الرسمِ وتهميشِ الروايةِ، لكنْ بأسلوبينِ متباينينِ.

أمَّا (أوتو برتزل) فآراؤُهُ حولَ القراءاتِ القرآنيَّةِ ليستْ بمنأًى بعيدٍ ممَّا جاءَ بهِ (جولدسيهر)، فقد وافقَهُ في زعمِهِ أنَّ تعددَ القراءاتِ راجعٌ إلى غيابِ النقاطِ والتشكيلِ، قالَ: "برزتْ في تلكَ الفترةِ قراءاتٌ كثيرةٌ تفهمُ معالمَ الرسمِ نفسَها على أوجهٍ مختلفةٍ، من الطبيعيِّ أنْ تنشأَ في المأثورِ الشفويِّ أشكالٌ مزدوجةٌ للنصِّ لا تظهرُ اختلافاتُها بوضوحٍ في الكلماتِ غيرِ المُشكَّلةِ... وتوجدُ احتمالاتٌ لا حصرَ لها لقراءةِ الكلماتِ غيرِ المُشكَّلةِ نفسِها... وفي فترةِ الازدهارِ العلميِّ عندَ الحسنِ تكوَّنتْ كميةٌ أساسيةٌ كبيرةٌ للقراءاتِ التي

خرجَت من رحمِ النصِّ المكتوبِ". (بوحوش، 2016، ص121)

يتضحُ أنَّ (برتزل) بقولِه هذا لم يغادرْ ما قرَّرَهُ صاحباهُ، خلا أنَّ (نولدكه) كانَ أكثرَ لباقةً في العرضِ من (جولدسيهر) و(برتزل) اللذينِ كانا صريحينِ صراحةً استفزازيةً.

ومن آراءِ (برتزل) أيضًا التي توافقتْ مع (نولدكه) زعمُهُ أنَّ للنفوذ السياسيِّ والمكانةِ دورًا في تعددِ القراءاتِ أو تغليبِ إحداها على الأخرى، قالَ: "تعودُ أسبابُ هذا الاختلافِ في صفةِ الروايةِ لابنِ مسعودٍ ولأُبيٍّ إلى اختلافِ الظروفِ الخارجيةِ للتأثيرِ الذي مارسَهُ كلا النصينِ، فكما يشيرُ إليها لتأرجحٍ حولَ سنةِ وفاتِه لم يلعبْ أُبَيٌّ بعدَ وفاةِ محمدٍ أيَّ دورٍ مرموقٍ، وسواءٌ بسببِ موتِه المُبكِّر أو لأسبابٍ أخرى، فقد أزيحَ عن المسرحِ السياسيِّ، وانتشرَ نصُّهُ القرآنيُّ على الصعيدِ الشخصيِّ فقط، أمَّا ابنُ مسعودٍ فكانَ واليًا على الكوفةِ وكانَ يمتلكُ بالتالي إمكانيَّةً استطاعَ استغلالَها بنجاحٍ لإيجادِ اعترافٍ رسميٍّ بقرآنِه". (بوحوش، 2016، ص131)

مرَّ سابقًا أنَّ (نولدكه) ثبَّتَ أنَّ القراءاتِ كانت عرضةً لتنافسِ القُرَّاءِ، فاعتراها شيءٌ من التغييرِ والتبديلِ باجتهادٍ منهم، وهذا عينُ ما يقولُهُ (برتزل) هاهنا.

وعندَ التأملِ في تلكمِ الأقوالِ الموافقةِ لـــ(نولدكه) يتضحُ بشكلٍ جليٍّ صحةَ ما ألحَّ عليه (محمد رباع) من وجودِ اتفاقٍ جمعيٍّ مسبقٍ لدى المستشرقينِ فيما قدَّمُوهُ من أبحاثٍ ترتبطُ بالقرآنِ واللغةِ العربيَّةِ (ينظر: رباع، ص10، ص37-ص63 ص71 ص72)، فليسَ من الممكنِ أنْ تتطابقَ مضامينُ أقوالِ الموضوعاتِ الفرعيَّةِ في أبحاثٍ كثيرةٍ متناثرةٍ هنا وهناكَ.

*** (نولدكه) والعربُ**

انقسمَ العربُ إلى قسمينِ في موقفِهم منَ المستشرقينَ:-

الأولُ: قسمٌ تلقى ما قدمَهُ المستشرقونَ من غيرِ وعيٍّ فتبعُوهم وأسهموا في بثِّ ما نفثُوه على أنَّهُ نظرياتٌ صادرةٌ عن تحقيقِ التراثِ وتنقيحِه، ومن هؤلاءِ (طه حسين) الذي فصلَ القراءاتِ القرآنيَّةَ عن الوحيِ وأرجعَ تعددَها إلى اختلافِ اللهجاتِ، يقولُ: "وهنا وقفةٌ لا بدَّ منها، ذلكَ أنَّ قومًا من رجالِ الدينِ فهموا أنَّ هذهِ القراءاتِ السبعَ متواترةٌ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، نزلَ بها جبريلُ على قلبِه، فمنكرُها كافرٌ من غيرِ شكٍّ ولا ريبةٍ... والحقُّ أنْ ليستْ هذه القراءاتُ السبعُ من الوحيِ في قليلٍ ولا كثيرٍ، وليسَ منكرُها كافرًا، ولا فاسقًا ولا مغتمزًا بدينِه؛ وإنَّما هي قراءاتٌ مصدرُها اللهجاتُ واختلافاتُها". (حسين، 2012، ص79)

وسبق أنَّ (نولدكه) يرى أنَّ القراءاتِ كانَ قد اعتراها تغييرٌ وتبديلٌ باجتهادٍ منَ القرَّاءِ حتَّى غدتْ ذاتَ ملامحَ ذاتيةٍ، غيرَ أنَّ (طه حسين) هاهنا كانَ أكثرَ جرأةً ففصلَ القراءاتِ عن الوحيِ ليُثبتَ أنَّ القرآنَ نزلَ بلغةِ قريشٍ، فلمَّا لم تستطعِ العربُ تغييرَ ألسنتِها لتوافقَ قريشًا فقرأَ كلُّ قومٍ بلسانِهم، فظهرتِ القراءاتُ استجابةً للهجاتِ القبائلِ. وإذا كانَ مرادُ (طه حسين) بقولِه هذا أنْ يحافظَ على قرشيَّةِ القرآنِ فإنَّهُ من ناحيةٍ أخرى يُثبتُ تباينًا ذا ملامحَ تميزيَّةٍ بينَ لغةِ قريشٍ التي نزلَ بها القرآنُ وسائرِ اللهجاتِ، وهذا ما سعى إليه (نولدكه) ورفاقُهُ.

وكانَ ثَمَّ ثُلةٌ من العربِ زُيِّنَ لهم صنيعُ (نولدكه) فأثنَوْا عليه وامتدحُوا مقولاتِه، كـــ(عمر فروخ) الذي قالَ:

"يصعبُ أنْ يكونَ فيها تشويهٌ وأنْ يقصدَ بها ضررٌ مباشرٌ" (الدقيقي، 2011، ج1/ص36)، ولا إخال أنَّ (نولدكه) نفسَهُ ظنَّ يومًا أنَّ أعرابيًّا سيصفُ كتابَهُ كـــ(صلاح الدين المنجد) بمقولةِ كهذه: "هوَ أولُ مؤلفاتِ (نولدكه) العظيمةِ الكثيرةِ، وبهِ دلَّ على طريقِ البحثِ العلميِّ الصحيحِ في الدراساتِ القرآنيَّةِ، وأظهرَ هذا الكتابُ مُبكِّرًا جميعَ خصائصِ (نولدكه) في البحثِ، معرفةً شاملةً على أساسِ بحثٍ أمينٍ في جميعِ التفاصيلِ، وحكمٌ واضحٌ دقيقٌ يردُّ كلَّ ما هوَ مشكوكٌ فيهِ ويرفضُ ما لا يَقبلُ الاحتمالَ".(المنجد، 1978، ج1/ص116)

وهذا (أحمد سمايلوفيتش) يقولُ معجبًا بكتابِ (نولدكه): "ويُعدُّ بحقٍّ أدقَ ما أنتجَهُ الغربُ في هذا الميدانِ حتَّى الآنَ؛ إذ بحثَ صاحبُهُ بتضلُّعٍ وعمقٍ، وحاولَ أنْ يكونَ موضوعيًا بقدرِ الإمكانِ، وقد تناولَ البحثُ حقيقةَ البعثِ والنبوةِ وما بينَهما من علاقةٍ، ثُمَّ شخصيةَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم، وأسبابَ نزولِ الآياتِ". (سمايلوفتش، 1998، ص206)

إنَّ ما مرَّ سابقًا من كشفٍ لما يضمرُهُ (نولدكه) في أقوالِهِ المرتبطةِ بالقرآنِ وقراءاتِهِ يُبيِّن أنَّ أقوالَ هؤلاءِ القومِ في تزكيةِ (نولدكه) وامتداحِ كتابِهِ ليستْ إلا كالدمِ على قميصِ يوسفَ، وأنَّ الحقيقةَ التي انطلتْ على هؤلاءِ تكشفُ مدى خطورةِ أسلوبِ (نولدكه) في نفثِ سمومِهِ، فهوَ لا ينفكُ يقدِّمُ طعنَهُ بغلافٍ من الدفاعِ الدينيِّ عن القرآنِ ولغتِهِ، لذا؛ ليسَ غريبًا أنْ تنطليَ تلكم الطعونُ على مَن قصرَ فهمُهُ من العربِ. الثاني: في مقابلِ ذاكَ ظهرَ عددٌ منَ الباحثينَ العربِ الذينَ تصدَّوْا للمستشرقينَ بوجهٍ عامٍّ، ولـــ(نولدكه) بوجهٍ خاصٍ، فقدمُوا جملةً منَ الأبحاثِ والدراساتِ التي تنقدُهُ وتكشفُ غايَتَهُ وتبيِّنُ زيفَ دعواهُ، وإنْ كانت تلكم الردودُ في أغلبِها عاطفيةً فإنَّ (محمد رباع) درسَ المستشرقينَ حتَّى سقطُوا في ورقاتِ كتابِهِ (العربيّةُ؛ أوهامُ الوصفِ ووقائعُ التأصيلِ)، وقالَ حينَ عاج على (نولدكه): "ينبغي أنْ أُشيرَ أَوَّلًا أنَّ ما جاءَ به (نولدكه) أبعدُ فحشًا ممّا جاءَ به (فولرز)؛ فما استدلَّ به (فولرز) كما يصفونَ كانَ جلُّهُ من القراءاتِ الشاذّةِ، وهي ممّا لا قيمةَ له في هذا السياقِ عندَ المستشرقين أنفسِهم، بل عندَ كلِّ من لديهِ أدنى معرفةٍ بهذهِ القراءاتِ الشاذّةِ، وأمّا (نولدكه) فقد فتحَ بابَ المراجعةِ ليشملَ النصَّ القرآنيَّ المحكمَ، فأنْ ينطبقَ وصفُ (نولدكه) على نصٍّ واحدٍ لا نصّين، كما أرادَ أنْ يتلطّفَ، يكفي لبلوغِ الغايةِ. ولكنَّ من جاءَ بعدَهُ سيقيسُ عليه، ليبحثَ عن إمكانِ العثورِ على مثلِهِ في حركاتِ الإعرابِ التي لا تظهرُها الكتابةُ، ويحتملُها الرسمُ العثمانيُّ". (رباع، ص153)

وحينَ جرَّدَ (رباع) (إبراهيم أنيس) من نظرياتِه، وردَّ بضاعةَ المستشرقينَ إليهم، قالَ: "قد شقَّ أنيسٌ لبني الأعرابِ أنْ يسيروا على نهجِ (رابين) من بعدِ (نولدكه)، فجعلُوا القراءاتِ القرآنيّةَ مسرحًا لاجتهاداتِ القرّاءِ، ينظرونَ فيها كي يكتشفُوا ما فيها من سماتٍ لهجيّةٍ نتجتْ عن لهجةِ القارئِ، بل إنَّ القدماءَ سترُوا تراثَ القراءاتِ الشاذّةِ فحجبوه عنّا، فنهدَ مَن يدعو إلى نبشِ التراب عن تلكم القراءاتِ التي وأَدَها النحاةُ لِما لها من قيمةٍ علميّةٍ في البحثِ اللغويِّ السليمِ". (رباع، ص175)

وقدَّم (العماد أول مصطفى طلاس) لكتابِ (جولةٌ في كتابِ نولدكه تاريخ القرآن) لـــ(أحمد عمران الزاوي)

قائلاً: "يُعد (نولدكه) رائدَ المستشرقينَ الذينَ خدمُوا أهدافَ الغربِ بجدٍّ وإخلاصٍ، وقدمَ هذهِ الأهدافَ بالافتراءِ والتشكيكِ، لم يقرأْ (نولدكه) القرآنَ الكريمَ ككتابٍ مترلٍ، بل كنصٍّ وضعَهُ النبيُّ نتيجةَ إلهامٍ منطلقًا من مبدأٍ بشريَّةِ القرآنِ، لذلكَ أخذَ يتلمسُ مصادرَ أخرى غيرَ الوحيِ، حاملًا منطلقاتٍ وأهدافًا متميزةً، وأحكامًا مسبقةً، وأغلبُ الموضوعاتِ التي أثارَها حولَ القرآنِ وعملَ جهدَهُ على تثبيتِها في أذهانِ الغربِ، مدعيًا تحريفَ القرآنِ وتناقضاتِه، .... متجاهلًا عن قصدٍ أنَّ القرآنَ الكريمَ قد وصلَ إلينا منذُ أربعةَ عشرَ قرنًا إلى أيامِنا هذهِ دونَ أنْ يتعرَّضَ لتحريفٍ أو تبديلٍ". (الزاوي، 2008، ص7)

وكذلكَ فعلَ (محمد حسين الصغير) في كتابِهِ (المستشرقونَ والدراساتُ القرآنيَّةُ)، و(رضا محمد الدقيقي) في رسالتِهِ للدكتوراه حيثُ جاءتْ في ثلاثةِ أجزاءٍ ناقشَ فيها ما قدَّمَهُ (نولدكه) وعلَّقَ عليهِ ونقدَهُ، وغيرُ هذا عددٌ عديدٌ من الدراساتِ والمقالاتِ التي لا مجالَ لعرضِها أو حصرِها هاهنا.

*** الخاتمة والنتائج**

نخلصُ إلى القولِ:-

١- إنَّ ما جاء به (نولدكه) اختلفَ عن سائرِ المستشرقينَ في شكلِهِ لا مضمونِهِ، حيثُ لم تخرجْ نتائجُهُ عمَّا هندسَهُ المستشرقونَ قبلًا، خلا أنَّه كانَ أشدَّهم حذاقةً حينَ تقمَّصَ شخصيةَ العربيِّ المسلمِ، فوصفَ محمدًا بأنَّه نبيٌّ وأثنى على القرآنِ.

٢- أقامَ منهجُهُ في الطعنِ على ما شذَّ لفظُهُ أوِ استترَ معناهُ فخرجَ إلى القولِ بأخطاءٍ في النصِّ القرآنيِّ، وانطلقَ من هذا ومن وقائعَ تاريخيَّةٍ ليثبتَ تنافسًا بينَ القُرَّاءِ،

٣- اتَّكأَ (نولدكه) على منسأةِ المعاييرِ الثلاثةِ الهشَّةِ، فركَّزَ على اضطرابٍ في موقفِ القُرَّاءِ منها، غاضًّا طرفَهُ عن ارتباطِها بزمنٍ متأخرٍ عن نشأةِ القراءاتِ؛ ليثبِّتَ أنَّ القراءاتِ كانت باجتهادِ القُرَّاءِ وليستْ منَ الوحيِ.

*** التوصياتُ**

ينبغي دفعُ الشكِّ بربطِ كلِّ ما جاءَ شاذًّا أو غريبًا بزمانِهِ وسياقِهِ؛ ليتضحَ أنَّهُ ناشئٌ خارجَ عصرِ الرسولِ والصحابةِ، فليسَ له أيُّ قيمةٍ توثيقيَّةٍ تدعو إلى العنايةِ به.

لا بدَّ من تأكيدِ خطورةِ ما جاءِ به (نولدكه)، فمنهجُهُ، بوجهٍ عامٍّ، يقومُ على دراسةِ القرآنِ وفقَ المنهجِ التاريخيِّ الذي يتناولَ الظاهرةَ من حيثُ نشأتُها وتطورُها، وما يعتريها من وقائعَ وملابساتٍ، وقد جاءَ عنوانُ كتابِهِ (تاريخُ القرآنِ) يُشعرُ بهذا، فالفكرةُ الرئيسةُ التي انطلقَ منها هي أنَّ الأديانَ تمرُّ بمراحلِ نشأةٍ وتطوّرٍ في التاريخِ، والدينُ السابقُ يؤثِّرُ في الدينِ اللاحقِ، والدياناتُ عمومًا خاضعةٌ للمؤثِّراتِ الخارجيَّةِ، لذا؛ تناولَ (نولدكه) القراءاتِ القرآنيَّةِ وفقَ ما استقرَّ في ذهنِهِ سابقًا، فخالَ هذا الذي ذهبَ إليه، وأوهمَ به بعضًا من العربِ فتوهَّمُوا.

*** المراجع**

إسماعيل، علاء الدين محمد، موقف المستشرقين من القرآن الكريم "جون جلكرايست" وكتابه جمع القرآن نموذجاً، مؤتمر الاستشراق ماله وما عليه، جامعة القصيم، ج1، 2016م.

آل إسماعيل، نبيل بن محمد إبراهيم، (1419ه)، علم القراءات نشأته أطواره أثره في العلوم الشرعية، (د.ط)، الرياض، مكتبة التوبة.

بوحوش، غنية، منهج المدرسة الاستشراقية في التعامل مع القراءات القرآنية عرض ونقد، مؤتمر الاستشراق ما له وما عليه، جامعة القصيم، ج1، 2016.

حسين، طه، (2012)، في الأدب الجاهلي، (د.ط)، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

الدقيقي، رضا محمد، كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني تيودور نولدكه ترجمة وقراءة نقدية، ج1 الوحي إلى محمد بين الإنكار والتفسير النفسي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ودار النور، الكويت، 2011.

رباع، محمد، العربيّةُ بين العرب والمستشرقين، وتناسخ الأنظار والدرس، (العربية عند المستشرقين، اختلاق الوصف وبعثرة الثوابت، ج1)، ط1، الأردن، دار كنوز المعرفة، 2019.

الزاوي، أحمد عمران، (2008)، جولة في كتاب نولدكه تاريخ القرآن، ط1، دمشق، مكتبة دار طلاس.

سمايلوفتش، أحمد، (1998)، فلسفة الاستشراق، د.ط، القاهرة، دار الفكر العربي.

الصالحي، صبحي، (2009)، دراسات في فقه اللغة، د.ط، بيروت، دار العلم للملايين.

ابن عربي، كريم شوقي، (2018)، المنفعة في مراحل جمع القرآن، د.ط، بيروت، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع.

محمد، خليفة حسن، (د.ت)، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم النقد (الكتاب المقدس)، د.ط.

المنجد، صلاح الدين، (1978)، المستشرقون الألمان، ط1، بيروت، دار الكتاب الجديدة، ج1.

نولدكه، تيودور، (2000)، تاريخ القرآن، ط (1)، تعديل: فريدريش شيفالي، ترجمة: جورج تامر، نيويورك، دار نشر جورج ألز.